وقوله (إلا أن يشاء ا) استثناء حقيقي من الكلام الذي قبله . وفي كيفية نظمه اختلاف للمفسرين فمقتضى كلام الزمخشري أنه من بقية جملة النهي أي هو استثناء من حكم النهي أي لا تقولن : إني فاعل الخ... إلا أن يشاء ا أن تقوله . ومشيئة ا تعلم من إذنه بذلك فصار المعنى : إلا أن بأذن ا لك بأن تقوله . وعليه فالمصدر المسبك من (أن يشاء ا) مستثنى من عموم المنهيات وهو من كلام ا تعالى . ومفعول (يشاء ا) محذوف دل عليه ما قبله كما هو شأن فعل المشيئة . والتقدير : إلا قولا شاءه ا فأنت غير منهي عن أن تقوله .

(غدا ذلك فاعل إني) جملة من مستثنى أنه والفراء والأخفش الكسائي كلام ومقتضى A E فيكون مستثنى من كلام النبي A المنهي عنه . أي إلا قولا مقترنا ب (إن شاء ا) فيكون المصدر المنسبك من " أن " والفعل في محل نصب على نزع الخافض وهو باء الملابسة .

والتقدير : إلا ب (إن يشاء ا) أي بما يدل على ذكر مشيئة ا لأن ملابسة القول حقيقة المشيئة محال . فعلم أن المراد تلبسه بذكر المشيئة بلفظ (إن شاء ا) ونحوه . فالمراد بالمشيئة إذن ا له .

وقد جمعت هذه الآية كرامة للنبي A من ثلاث جهات : الأولى : أنه أجاب سؤله فبين لهم ما سألوه إياه على خلاف عادة ا مع المكابرين .

الثانية : أنه علمه علما عظيما من أدب النبوة .

الثالثة : أنه ما علمه ذلك إلا بعد أن أجاب سؤله استئناسا لنفسه أن لا يبادره بالنهي عن ذلك قبل أن يجيبه كيلا يتوهم أن النهي يقتضي الإعراض عن إجابة سؤاله وكذلك شأن تأديب الحبيب المكرم . ومثاله ما في الصحيح : أن حكيم بن حزام قال : " سألت رسول ا فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال : يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذة بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى . قال حكيم : يا رسول ا ! والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا " . فعلم حكيم أن قول رسول ا A له ذلك ليس القصد منه منعه من سؤله وإنما قصد منه تخليقه بخلق جميل فلذلك أقسم حكيم : أن لا يأخذ عن أحد غير رسول ا شيئا . ولم يقل : لا أسألك بعد هذه المرة شيئا .

فنظم الآية أن اللام في قوله (لشي) ليست اللام التي يتعدى بها فعل القول إلى المخاطب بل هي لام العلة أي لا تقولن : إني فاعل كذا لأجل شيء تعد به فاللام بمنزلة " في " و (شيء) اسم متوغل في التنكير يفسره المقام أي الشيء تريد أن تفعله .

والإشارة بقوله (ذلك) عائدة إلى (شيء) أي أني فاعل الإخبار بأمر يسألونه .
و (غدا) مستعمل في المستقبل مجازا . وليست كلمة (غدا) مرادا بها اليوم الذي يلي يومه ولكنه مستعمل في معنى الزمان المستقبل كما يستعمل اليوم بمعنى زمان الحال والأمس بمعنى زمن الماضي . وقد جمعها قول زهير : .
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم وظاهر الآية اقتصار إعمالها على الإخبار بالعزم على فعل في المستقبل دون ما كان من الكلام إنشاء مثل اإيمان فلذلك اختلف فقهاء الأمصار في شمول هذه الآية لإنشاء الأيمان ونحوها فقال جمهورهم : يكون ذكر (إلا أن يشاء ا) حلا لعقد اليمين يسقط وجوب الكفارة . ولعلهم أخذوه من معنى (شيء) في قوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك) الخ : بحيث إذا أعقبت اليمين بقول (إلا أن يشاء ا) ونحوه لم يلزم البر في اليمين . وروي ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم عن مالك أن قوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل) الخ . . إنما قصد بذلك ذكر ا عند السهو وليس باستثناء . يعني أن حكم الثنيا في الأيمان لا يؤخذ من هذه الآية بل هو مما ثبت بالسنة . ولذلك لم يخالف مالك في إعمال الثنيا في اليمين وهي قول (إن شاء ا) . وهذا قول ابن حنيفة والشافعي .
(واذكر ربك إذا نسيت)